﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾ [البقرة: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بيَّن الله تعالَى نِعْمَتَهُ عَلَى بني إسرائيل - بالإمكان مِنَ القَرْيَةِ بالنَّصر على أهلِها والتَّمَتُّعِ بمنَافِعِهَا، وما قابلُوا بهِ ذلكَ من الكُفْرِ ومخالفةِ الأَمْرِ، وخَتَمَ ذلكَ بذِكْرِ إنزال العذاب عليهم، وتبيَّن مِن ذلكَ كُلِّه أنَّ قلوبهم بلغَتْ في القَسْوَةِ مبلغًا عظيمًا، وأنَّهُ لا يُرْتَجَى فِيهَا نفعٌ- أَتْبَعَهُ التَّذْكِيرَ بنِعَمِهِ عليهم في البَرِيَّةِ؛ فذكَر انفجارَ الماءِ مِنَ الحَجَرِ عَلَى وجهٍ عمَّهُمْ نفعُهُ، ونجَّاهُم فِيهِ مِنَ المَوْتِ، فكان في ذلك دلالة لهم على قدرةِ الله سبحانَهُ بما يقُودُهُم للانقيادِ إليه وطاعتِهِ واتِّباعِهم رسولَهُ موسَى عليه السلام، فيكون بهذَا قد جمَعَ لهم بينَ النِّعمةِ الدِّينيَّة والنِّعمة الدُّنيويَّة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱسۡتَسۡقَىٰ﴾: السِّين والقاف والحرف المعتلُّ تَدُور اشتقاقاتُها على إشرابِ الماءَ وما أشبَهَهُ[2]، وَالسَّقْيُ والسُّقْيَا: إعطاء الشراب[3]، والاِسْتِقاءُ: الأخذُ مِنَ النَّهر والبئر[4].

والاِسْتِسْقَاء: طلبُ السُّقْيَا، فالسِّينُ والتَّاءُ للطَّلَبِ على ما هو الغالبُ فيها، وهو المرادُ في قول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾.

2) ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾: الفاءُ والجيمُ والرَّاءُ تدلُّ تصاريفُهَا على التَّفتُّح[5]، ومنه سُمِّيَ الفجرُ بذلك؛ لأنَّه تفتُّحُ الظُّلْمَةِ عنِ الضِّياءِ[6]، ومنه سُمِّيَ الكرمُ والعطاءُ فَجْرًا؛

(1) البقاعِيّ، نظم الدّرر: 1/403.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سقى).
(3) الرّاغب، المفردات: (سقى).
(4) الخليل، العين: (سقى).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فجر).
(6) أبو عُبيد الهرويّ، الغريبين: (فجر).

لأنَّ المالَ في الأصلِ محبوسٌ في محلٍّ مُحْكَمٍ غَلْقُهُ، فإذا جَادَ صاحبُهُ به ؛ فَتَحَ المحلَّ؛ ليُخرِجَ مِنْهُ[1].

وانْفَجَرَ: مطاوعُ الفعلِ: فَجَرَ، يقال: فجَر اللّٰهُ تعالى العينَ، فانفجرَتْ[2].

والانفجار في قوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾، يُرادُ به: التفتُّحُ والانشِقَاق[3].

3) ﴿عَيۡنٗاۖ﴾: العين والياءُ والنُّونُ تدلُّ اشتقاقاتُهَا على: دائرةٍ ينفُذُ منها لَطِيفٌ لامِعٌ دائمُ الجَرَيانِ عَن مُخْتَزَنٍ كثيرٍ، ومِنْهُ عينُ الماءِ، والعينُ الباصرَةُ؛ فإنَّها مستديرةٌ تمتدُّ مِنْهَا وإِلَيْها أشعةُ قُوَّة الرُّؤية، ومِنهُ قولُهم للشَّمس: عينٌ؛ لأنَّ قُرصَها دائرةٌ لامعةٌ تصدرُ منها أشعةٌ لطيفةٌ دائمةٌ[4].

والعينُ لها معانٍ كثيرةٌ جدًّا، أوصلها بعضُ أهل العربيَّة إلى أكثر مِن مئة معنًى[5]، وقد أورد الفيروزابادي لها نيِّفًا وخمسين معنًى مرتَّبةً على حروف المعجم[6].

والعين في قول اللّٰه تعالى: ﴿ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ يُراد بها: منبع المَاء الجَارِي.

4) ﴿مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾: الشِّين والرَّاء والباءُ تدل تصريفَاتُهَا على سَحْبِ الماءِ ونحوِهِ من المائعِ إِلَى الجوفِ[7]، والشَّرابُ: اسمٌ لما يُشرَبُ، وكلُّ شيءٍ لا يُمضَغ؛ فإنه يُقال فيه: يُشْرَبُ[8].

والمشْرَبُ في قول اللّٰه تعالى: ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾ يحتمل وجهين[9]:

أحدهما: أن يكون مصدرًا، يُراد به اسمُ المفعول، أي: المشروب.

الآخر: أن يكون اسم مكانٍ، وهو أَظْهَرُ، وإن كان لا تعارُضَ بين هذين المَعْنَيَيْن.

---

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فجر).
(2) أبو إبراهيم الفَارَابيّ، معجم ديوان العرب: 2/424.
(3) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 2/567.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عين).
(5) الزَّبيدي، تاج العروس: (عين).
(6) الفيروزابادي، بصائر ذوي التَّمييز: 4/4-5.
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شرب).
(8) الخليل، العين: (شرب).
(9) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 2/577، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 1/421، وابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 2/109.

5) ﴿تَعۡثَوۡاْ﴾: العين والثَّاءُ والحرف المعتلُّ تدور اشتقاقاتُها على معنى الفسادِ[1]، يقال: عاثَ؛ إذا أَفْسَدَ[2].

والعِثِيُّ والعَيْثُ متقاربَان، إلا أنَّ العِثِيَّ -ومثله: العُثُوُّ[3]- أكثر ما يُقال في الفساد الذي يُدْرَك حُكْمًا، وَالعَيْثُ فيما يُدرك حِسًّا[4]، ومن الأوَّلِ قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾، ومعنى الآية: لا تسعوا في الأرض مُفْسِدين[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

واذكروا - يابني إسرائيل - من نِعَمِنَا عليكم حينَ كنتم في التِّيه، فأصابكم العَطَشُ الشَّديدُ، فتضرَّع إلينا موسى عليه السلام، وسألنَا أن نسقيَكُم، فقلنا له: اضربْ بعصاك حَجرًا مِنَ الأحجارِ، فضربهُ، فتفجَّرت مِنَ هذا الحَجَر اثنتا عشرة عينًا بعدد قبائل بني إسرائيل، وبيَّنَّا لكلِّ قبيلةٍ موضعَ شُرْبِهم؛ لئلَّا يزاحمَ بعضُهم بعضًا فيتنازَعُوا، وقلنا لهم: كلوا مِنَ المنِّ والسَّلْوَى، واشربوا من ماء العيونِ، ولا تسعَوْا في الأرض مفسدين بأن تُقابِلوا النِّعم بالعصيان؛ فَتُسلَبوها[6].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِضَمِيرِ الجَمْعِ:

عَظَمَةُ القولِ الصَّادر مِنَ الله تعالى وشَرَفُه

جاء التَّعبير بالنُّونِ المفيدةِ العظمَةَ في قول الله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ﴾[7]؛ لِلْإِيمَاء بعظَمَةِ القول وتشريفِه، ولبيان أهميَّة الأمر المذكورِ بعدَهُ، وما تضمَّنه من الخوارق التي لا تصدُرُ إلَّا عن عظيمٍ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عثى).
(2) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (عثي).
(3) فرَّق بعض أهل العلم بين العِثِيِّ والعُثُوِّ: بأن العِثِيَّ إفساد أهلِ المكر بالحيلَةِ، والعُثُوّ: إفسادُ أهل القوّة بالسَّطوةِ، يُنظر: البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/410.
(4) الرّاغب، المفردات: (عثى)، والزَّبيديّ، تاج العروس: (عيث).
(5) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 1/122.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 2/119-123، والنَّسفيّ، مدارك التَّنزيل: 1/92-93، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 9.
(7) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/404.

دلالة الفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُلْنَا﴾:

كَـرَامَـةُ مُـوسَى عليه السلام عِـنـدَ ربِّـه سُبْحَانه

الفاءُ في قول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا﴾، تفيدُ -كما هو الأصلُ فيها- التَّرتيب معَ التَّعقيب، وفي هذا: إشعارٌ بسُرعةِ استجابةِ الله سبحانه لطلب موسَى عليه السلام السُّقْيَا، وذلك دالٌّ على كرامَتِه عند ربِّه ﷻ.

دلالة اللَّامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجَرَ﴾:

إِبْـهَـامُ الحَجَرِ أقوى في الحجَّة وأبْـلَـغُ فِي المُعْجِزَةِ

اللَّامُ في قول الله ﷻ: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ تَحْتَمِلُ وجهين[1]:

أحدهما: أن تكون اللَّامُ للعَهْدِ العلميِّ، فيكون حَجرًا معلومًا، والمعنى: اضرب بعصاك الحَجر المعيَّنَ.

الآخر: أن تكون لِلعهدِ الذِّهْنِيِّ -وهو من أفرادِ لام الجِنس عند البلاغيِّين[2]-وهي الدَّالَّةُ على أنَّ مدخولَها فردٌ غيرُ معيَّنٍ، والمعنى: اضربْ حَجرًا مِنَ الأحجارِ.

والثَّاني أظهرُ في الإعجاز، وأبيَنُ في القدرةِ، وأقوى في الحجَّة على أنَّه رسولٌ من عند الله؛ لأنَّ الأحجار المتعيِّنَةَ تحتملُ اتِّصافها بخاصَّةٍ تفيد المذكورَ، بخلاف حملِ اللَّام على العهد الذِّهْنِيِّ؛ فإنَّه مفيدٌ أنَّ تفجُّرَ العيونِ حاصلٌ بضربِ أيِّ فردٍ من أفراد الحجارة[3].

بلاغةُ الفاءِ الفصيحةِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾:

سُـرْعَـةُ تَحَقُّق الانفجَارِ عَقِيبَ ضَرْبِ الحَجَر

قول الله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾، معطوفٌ على مقدَّرٍ، والتَّقدير: فَضرَبهَا فانْفَجرتْ، ودلَّ على المحذوفِ أمران[4]:

الأوَّل: منزلةُ موسَى عليه السلام المقتضِيَةُ أن لا يُشكَّ في امتثالِه أمرَ ربِّه سبحانه بالضَّرْبِ.

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/144، والرّازي، مفاتيح الغيب: 3/528، والآلوسي، روح المعاني: 1/271، والقِنَّوجي، فتح البيان: 1/179.

(2) لام العهدِ الذِّهْنِيّ عند البلاغيِّين من أفراد لام الجنس، وهي عند النُّحاة من أفرادِ لام العَهْدِ.

(3) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاويّ: 3/326.

(4) الرّازي، مفاتيح الغيب: 3/529، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/519.

الآخرُ: أنَّه إذا لم يكن ثمَّةَ حذفٌ؛ لكان انفجار العيونِ من غير ضربٍ، وذلك يستلزِمُ أنَّ أمر الله تعالى بالضَّرب بالعصا عبثٌ، وهذا غيرُ لائقٍ.

ونُكْتَةُ الحذفِ: الإيماءُ إلى كَمالِ سُرعةِ تحقُّق الانفجارِ؛ حتَّى كأنَّه حصلَ عَقيبَ الأمرِ بالضَّرب[1]، ويُقوِّيه كون العاطِفِ الفاءَ؛ وهي مفيدَةٌ التَّعقيبَ.

دِقَّةُ انْتِقَاءِ الأَلْفَاظِ المُلَائِمَةِ لِسِيَاقَاتِهَا:

العينُ الجاريةُ تحتملُ النُّضوبَ، بخلافِ الينبوعِ فمستمرٌّ دائمٌ

جاء التَّعبير عن مَخْرَجِ الماء بالعَين في قوله سبحانه: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾ دون (الينبُوع)؛ لأنَّ اليَنْبُوعَ: العينُ التي لا يَنْضَبُ ماؤُها[2]، فماؤه مستمرُّ الخروج والجريانِ[3]، وهذا لا يُلائمُ حالَ معجزة موسى عليه السلام؛ كونها معجزة مخصوصة الوقت والمكان والإنسان، فهي لوقت معين في مكان معين لطائفة معينة.

نُكْتَةُ فَصْلِ جُمْلَةِ: ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾:

أَثَرُ الاِسْتِئْنَافِ البَيَانِيِّ فِي الكَشْفِ عن حقائقِ النُّفوسِ

فُصل قولُه سبحانه: ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾ عمَّا قبلَهُ؛ لكونه استئنافًا بيانيًّا؛ فإنَّ قول الله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ يبعَثُ في النَّفْسِ سؤالًا: هل كانت الأعينُ موزَّعةً بينهم توزيعًا معروفًا، أو كانت مُلْبِسَةً غير موزعة؟ فجاء الجواب: ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾[4]، وهذا العلم مُتلقًّى من الوحي، وهم قد عَلِموه بوسَاطَةِ موسى عليه السلام، فالعبرةُ بمعرفتِهم لمشرَبِهم؛ وفي هذه الجملةِ إنباءٌ ضِمنيٌّ أنَّ القومَ بَيْنهم تنازُعٌ كبيرٌ، ولذلكَ أعلمَ كلَّ أُناسٍ مَشْرَبَهم.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/106.
(2) المَراغي، تفسير المراغي: 15/93، ومحمّد سيّد طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 8/428.
(3) محمّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/4452.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/407.

فَائِدَةُ الإِضَافَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾:

إِكْرَامُ اللهِ تعالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وامْتِنَانُه عَلَيهِم

إضافَةُ المَشرَب إلى الضَّمير الرَّاجعِ إلى بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾؛ لِما سبقَ من تخصيص كلِّ مَشْرَبٍ بسِبْطٍ من الأسباطِ، فصار بِهَذَا التَّخصيصِ كأنَّه مِلْكٌ لهم[1]، وهو مُشْعِرٌ بمَزِيدِ الامتنَانِ والإكرام.

دلالة الأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾:

إباحةُ الطَّيِّبات من مِنَنِ اللهِ تعالَى على العِباد

فعل الأمر ﴿كُلُواْ﴾ و﴿ٱشْرَبُواْ﴾ من قول الله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ يُرادُ به الإباحَةُ والامتنانُ؛ فإنَّ السِّياقَ لمَّا كان سياقَ امتنَانٍ، وكان الإيجادُ غيرَ مستلزمٍ إباحةَ التَّنَاوُلِ؛ نصَّ عليه زيادَةً في مِنَّتِه عليهم، فأباحهُ ممتنًّا عليهم بذلكَ، فقال سبحانه: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾[2].

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ الأَكْلِ عَلَى الشُّرْبِ:

دِقَّةُ النَّظْمِ القُرآنِيِّ في تَقْدِيمِ الأَلْفاظِ المُتَنَاظِرَةِ

قُدِّمَ الأمرُ بالأكل على الأمر بالشُّرْبِ في قول الله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾؛ لنكتَتَين:

الأولى: أنَّ المِنَّةَ بالمأكولِ سبقَت المِنَّةَ بالمشروبِ في الذِّكْرِ؛ فإنَّ المأكولَ ذُكر في قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: 57]، والمشروبَ ذُكرَ في هذه الآيةِ، فقُدِّمَ المقدَّمُ، وهذا اقتضاءٌ سياقيٌّ.

الأُخرى: أنَّ الأكلَ بِهِ قوام الجسدِ، والاحتياجُ إلى الشُّربِ حاصلٌ عَنهُ[3].

نُكْتَةُ وَضْعِ المُظْهَرِ مَوْقِعَ المُضْمَرِ:

في قول الله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ إظهارٌ في موضعِ

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 1/272.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/408.
(3) الآلوسّي، روح المعاني: 1/272.

الإضمار؛ فإنَّ مقتضى الظَّاهر: كلوا واشربوا من رِزْقِنَا؛ لأنَّ قبله: ﴿فَقُلْنَا﴾، وفي ذلك نِكاتٌ، منها:

أولًا: إظهارُ جَلال هذه النِّعَم وعظمَتِهَا بإضافتها إلى صريح الاسم الأحسنِ ﴿ٱللَّه﴾؛ فإنَّ ذلك أدخَلُ في بيان جلالتِهَا مِنْ إضافتها إلى الضَّمير الرَّاجِعِ إليه[1]؛ لما يدُلُّ عَلَيْهِ الاسْمُ الأحسَنُ ﴿ٱللَّه﴾ مِنَ الجلال والجمال والمهابة.

رُبُوبِيَّةُ اللهِ تعالى تَسْتَلْزِمُ أُلُوهِيَّتَه سُبْحَانَه

ثانيًا: نَقْلُهُم مِنَ الإقرار بما اقتضتْهُ ربوبيَّتُهُ سبحانَهُ إلى العمل بما تقتضيه ألوهيَّتُهُ؛ فإنَّ الرِّزْقَ من أفرادِ ربوبيَّتِه، واسمه (الله) دالٌّ على كونِهِ مألوهًا معبودًا، وإقرارهم بربوبيَّة الرَّازق يقتضي الإقرار بألوهيَّته.

دلالة اللَّامِ في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

اللَّامُ في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لامُ الجِنسِ المفيدَةُ عمومَ البقاعِ المندرجةِ في لفظها، وهذه الدّلالة تقتضي شناعَةَ من أفسدَ في أيِّ بقعةٍ من بقاعِ الأرضِ؛ لأنَّه من فعل ذلك؛ فقد أفسدَ في تلك البقعةِ بالفعلِ، وفي جميع البقاعِ الأخرى بالقُوَّة[2].

إفسادُ بَعْضِ الأرضِ يَؤولُ إلى إفسادِها كُلِّها

فَائِدَةُ تَقْيِيدِ الفِعْلِ بِالْحَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

قُيِّدَ الفعل (تَعْثَوْا) بالإفسادِ في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ مع أنَّ معنى الفسادِ مستفادٌ من العُثُوِّ؛ إذِ العُثُوُّ: أشدُّ الفسادِ[3]، والنُّكْتَةُ في ذلك: بيانُ العُتُوِّ؛ وأنَّهُ القَصْدُ إلى الإفسادِ، فقوله: (مُفْسِدِينَ) أي: قاصدِينَ إلى الإفسَاد على وجهِ

النَّهْيُ عَنِ القَصْدِ إلَى الإفْسَادِ عَلَى وَجْهِ التَّمَادِي

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 1/272-273.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/410، الفعل والقوة من مصطلحات المناطقة، ويراد بالفعل: تحقق الوجود، وتمام العمل، ويراد بالقوة: جواز الوجود، وإمكانية الحدوث. ينظر: فريد جبر وآخرون، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، ص: 604، 651.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 2/123، وأبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 213.

التَّمادِي فيه[1]، وليس المعنى النَّهْيَ عن التَّمادِي في الفسادِ مع تجويزِ أصلِهِ، بل هو كقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾[2] [آل عمران: 130].

ويَحتمِلُ أن يُحمَلَ العُثُوُّ على الاعتداء، والاعتداءُ لا يكون فسادًا بكلِّ حالٍ، بل منه ما ليس بفسادٍ؛ كمقابلةِ المعتدِي بفعله، مثل قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: 194]، "فهذا الاعتداء ليس بإفساد، بل هو بالإضافة إلى ما قوبل به عدلٌ، فلولا كونه جزاءً؛ لكان إفسادًا، فبَيَّن تعالى أن العُثُوَّ المنهيَّ عنه هو المقصودُ به الإفسادُ، وهو مكروه على الإطلاق"[3].

تَوْجِيهُ المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

دِقَّـةُ اخْـتِـيَـارِ الـمُـفْـرَدَاتِ بِمَا يُنَاسِبُ سِيَاقَهَا

وردت قصة استسقاء موسى عليه السلام لقومه في موضعين من سور القرآن الكريم بألفاظ متقاربة: أما الموضع الأول؛ فهو الذي بين أيدينا من سورة البقرة حيث قال الله ﷻ: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾. وأما الموضع الثاني؛ ففي سورة الأعراف حيث قال الله ﷻ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ﴾ [الأعراف: 160].

وعند التدقيق يظهر اختلاف بين ألفاظ القصة في السورتين، وذلك من أربعةِ أوجُهٍ؛ هي[4]:

اسْتِجَابَةُ القَائِدِ لِمَطَالِبِ قَوْمِهِ فِي الخَيْرِ مِنْ أَعْظَمِ الخَيْرِ

أوَّلًا: في البقرة: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾، وفي الأعراف: ﴿إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ﴾؛ فالأولى دالَّةٌ على أنَّ موسى عليه السلام هو الذي طلب السُّقْيَا لقومِهِ، وفي الأعراف دالَّةٌ على أنَّ قوم مُوسى اسْتَسْقَوْا

(1) الرَّازي، مفاتيح الغيب: 3/530. محمّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/248.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 2/166.
(3) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/207.
(4) البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 74، والرَّازي، مفاتيح الغيب: 3/529، وفاضل السَّامرَّائي، التَّعبير القرآنيُّ، ص: 379-387، وسعد عبد العظيم محمّد، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 109-110.

موسى، ولا تعارُضَ بينهما: فإنَّ قومه طلبوا مِنْهُ أن يَسْتَسْقِيَ لهم، فاستسقى موسَى ربَّهُ سبحانَهُ، إلَّا أنَّ آية البقرةِ لـمَّا كانت في سياق الامتنانِ ؛ خُصَّتْ بذِكْرِ استسقاءِ موسى عليه السلام ربَّهُ تعالى؛ لأنَّ هذا أكمل وأبلغُ في النِّعْمَةِ والـمِنَّةِ، فهو استسقاءٌ لبني إسرائيل، وهذا هو وجه المنَّة.

ثانيًا: في البقرة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾، وفي الأعراف: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾؛ ولما كان القول المباشِر من الله تعالى أكملَ وأشرفَ مِنَ الإيحاء؛ كان سياق آية البقرة الدَّالُّ على الامتنانِ أنسبَ إليه وأليقَ به.

الانبجاسُ أوَّلُ الاستسقاءِ، والانفجارُ آخرُه

ثالثًا: في البقرة: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾، وفي الأعراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾؛ وسرُّ المغايرةِ بينهما من أربعةِ أوجهٍ:

الأوَّل: أنَّ كلَّ موضعٍ مناسبٌ لسياقِه؛ لأنَّ الانفجار دالٌّ على خروجِ ماءٍ كثير، والانبجاس دالٌّ على خروج ماءٍ قليلٍ، ولا تعارُضَ بينهما؛ لأنَّ الماء خرَجَ قليلًا، ثمَّ تتابع خروجُهُ، وكَثُرَ، أو أنَّ الماء خرجَ غزيرًا أوَّل الأمر، ثمَّ قَلَّ بسببِ عصيانِهم، إلَّا أنَّ كلَّ موضعٍ خُصَّ بما يناسبُهُ، فمقامُ سورة البقرة مقام تَعداد النِّعَمِ، فكان الأنسبُ ذكرَ خروجِ الماءِ الكثيرِ.

الثَّاني: أنَّ الـمُسْتَسْقِي في سورة البقرة هو موسى عليه السلام، بخلاف الأعراف؛ فإنَّ الـمُسْتَسْقِي هُم قومُ موسى عليه السلام؛ فلمَّا عَظُمَ قَدْرُ المستسقِي في سورة البقرةِ ؛ ناسبَ ذكرُ عِظَمِ الماءِ الخارِجِ، فعُبِّر عَنْهُ بالانفجارِ، بخلاف ذلك في سورة الأعراف، وكذلك استسقاءُ موسى عليه السلام كان بعد استسقائهم، فلمَّا استسقوا كانت بدايةُ الانبجاس، ولـمَّا استسقى كانت بدايةُ الانفجارِ؛ ليُعلم فضلُ موسى على قومِه.

الثَّالث: أنَّ ظاهر سورة البقرةِ مفيدٌ أنَّ الله تعالى قال لموسى: اضرب بعصاك الحَجرَ، ولم يُوحِ إليه وحيًا، فناسَب ذلك انفجارَ الماءِ الكثير الغزير.

الرَّابع: أنَّ الله تعالى ذكرَ في سورة البقرة أنَّه جمع لهم بين الأكل والشُّرب، فقال

سبحانه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾، ولم يرد ذكرُ الشُّرْبِ في سورة الأعراف، فلمَّا نُصَّ في البقرة على المبالغةِ في الامتنانِ عليهم؛ كان الأنسبُ في المِنَّةِ ذكرَ خروج الماء الغزير.

رابعًا: في البقرة: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾، ولم يُذكر هذا في الأعراف، بل ذُكر في الأعراف قولُه سبحانه: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ﴾؛ وهذا وردَ بعينِه في سورة البقرة: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ﴾ [البقرة: 57]، وزادت الآيةُ هنا الجمعَ بين الأكل والشُّرْبِ في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾، وهذا ضربٌ من ضُروبِ التَّكريم، فهو أنسبُ لمقام تعداد النِّعَمِ الذي هو سياق آيات البقرة.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العُثُوُّ وَالإِفْسَادُ:

الفرق بين اللَّفظتَيْنِ هو العموم والخصوص المُطْلَقُ؛ فالعُثُوُّ أخصُّ مطلقًا من الإفسادِ؛ وذلك من وجهين اثنين:

الأوَّل: أَنَّ العُثُوَّ شدَّةُ الإفسادِ أو أشدُّ الإفسادِ[1].

الآخر: أنَّ العُثُوَّ إفسادٌ من قومٍ مخصوصينَ على وجهٍ مخصوصٍ؛ فإنَّ حقيقتَهُ: إفسادُ أهلِ القُوَّةِ بالسَّطوة.

فكان العُثُوُّ من هذين الوجهين أخصَّ من الإفساد.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 2/123، وأبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 213.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»